

... في قِيَامَةِ المَوْتِ
للقدسيه انبا افرام السرياني

يوسف حبيب

١٩٦٩

في قيامة الموتى

... مغبوطة البلدة وسعيدة المدينة ، مغبوطة القبيلة التي فيها صديقون بكثرة ، والصديقون أنفسهم الذين يخلص بهم العالم مغبوطون لأن التطويبات معدة لهم ، فلنصلح أعمالنا ولنعمل بسير الصديقين لنرت معهم السعادة والفرح الدائم صائرين نوراً وقوة ومدينة لللك المعظم ليكون لنا غزراً لأن بيده كافة أقطار الأرض وكما يقول المرثم : « يعطى الثلج كالصوف ويلقى الجليد مثل الفتات ، قدام وجهه برده من بقرم ، يرسل كلمته فتذيه ، تهب ريحه فتسيل المياه ... »^(١) ، تأخذ منه الأرض نسيم العناية فتكتسى جمال بهائنها بأمره ومثل إناء مذهب مرصع بالجواهر يطرب الناظرين إليه ، الطيور تعبير مغردة صوتاً حسن النغمة طربة بالهواء ، ذوات الأربع معاً تركض في المروج لأنه قد أينعت بقاع البرية والرعاة في إبتهاج وسرور بمواهب الرب .

الأنهار تسير بسكون من ضغط المياه فتفرح المخلوقات المائية والحيتان تركض مسرورة بشروق الشمس ، الأشجار بدلا من

أن ينثر ورقها تكتسى بأزهارها وتتجمل بالورق وتحمل الثمر ، الجبال والآكام والأودية وكافة الأرض تشيد بمجد الرب لأنه وشاها بزيتها كالعروس - ونحن بنو البشر إذا مر الشتاء ففرح متحمين بحسن اعتدال الأهوية وخصب الأثمار ، فلنصنع منذ الآن أثمار العدل الحسن قبولها عند الرب ليكون لنا دالة أمام الباري إذ يسر بأعمالنا لأنه بالحقيقة يسر الرب بالعاملين العدل . فلا يلقاها أحد بمقله أو بقوته أو بثروته لأن هذه تحجب كالاهر لكن المقتخر فليفتخر بالرب ...

ماذا يكون في الناس معظماً أو مكرماً أكثر من التساج الملوك وهذا لن يدوم لإنسان لأنه جيلا بعد جيلا ينتقل من رأس إلى رأس ، ماذا للدوك والرؤساء ولم يعطه الله ؟ أليس الرب نفسه صنع السماء والأرض وسائر البرايا التي فيها ، أما خلق الكل منذ أسس الأرض ، أى شيء لم يعطه . أنهم يسودون على الممتلكات والأسلحة والأموال ... ، لكن قل لي من خلق هذه كلها ... هو الرب يهب الأرض كورقة أو كمود يسبح على الماء .

لنعرف ضعفنا فإذا رأينا عظاماً أو جمجمة لمن سبق رقادم نتهد ، كذلك عظامنا سيصرها الذين بعدنا فيكثيرون لأن من هذا الطين بعينه خلقنا كلنا فإذا قد تقدمنا فمرنا هذه يا إغوتى

(١) من المائة والثلاثين والثلاثين بعد تجميع وتصحيح كثير .

(٢) مزمور ١٤٧ وهو آخر مزامير صلاة النوم .

فلتواضع تحت يد الرب العزيز ليرفعنا في أوان التعمد ولنقبض
السبح الباطل والقيء والجمل ولنهرب من الكبرياء فإن الله يناصبها
ولنحب التواضع فنصير ودعاء فيعلمنا الرب طرقه ...

كم ماتوا منذ إنشاء العالم ؟ ، وكلهم قاموا على الأرض . ليس
فرق بين عظام الملك وعظام الأسير ولا فضل للثقتى مركبة لجامها
مذهب على الساعي برجايه ولا للثغذي بأطعمة فاخرة على الذي
يعيش بالقر ولا الجميل الصورة على قبيحها ... ينالم الشكل على
التراب إلى أن يبوثق البوق المقدس فينبض الراقدون منذ الدهر
لينال كل واحد منهم جزاء الاعمال التي عملها بحسده صالحه
كانت أو طالحه .

عجب عظيم ١١

نشاهد بغثة القبور تفتح بصوت البوق والموق الراقدون
ينهضون منذ آدم وإلى تلك الساعة في أسرع من طرفه عين هكذا
إذا قام الموق غير بالين يقومون كلهم معاً . الملائكة يسرعون
مع البوق العظيم فيجمعون الصديقين من الاربعه رباح من آفاق
السماء وإلى آفاقها . ذلك الصوت يجي الشكل ولايبق من الناس
أحداً فبعضهم يقوم إلى قيامة الحياه ومنهم إلى الدينونة ، فإذا
سمعنا من نهوض الموق فلا نكذب ذلك لأن كافة الاشياء يمكنه

فه وليس شيء غير ممكن له ، الذين طرحووا في الآتون وعظامهم
الليب حفظوا بغير مضرة ولم ينلهم بلى ، وإذا خرجوا من آتون
النار وجدوا سالمين لم تحترق منهم شعرة واحدة ورائحة احتراق
الليب المرتفع لم توجد ، هكذا إذا قام الموق لايعتريهم البلى ،
ليس العجب من أن شعرة منهم لانهلك بل إن رائحة البلى لا توجد
بعد مدة زمان رقادهم لأن كافة الاشياء ممكنة لله ولن يصعب
عليه شيء .

اسمع حزقيال النبي قائلا :

وكانت على يد الرب فأخرجني بروح وأنزلني في وسط
البقعة وهي ملائكة عظاما ، وأمرني عليها من حولها وإذا هي
كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هي يابسة جداً ، فقال لي يا ابن
آدم أنحيا هذه العظام ، فقلت : « أيها السيد الرب أنت تعلم ،
فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها : « أيتها العظام اليابسة اسمعي
كلمة الرب . »

هكذا قال السيد الرب لهذه العظام . هاأنذا أدخل فيكم روحا
فتحيون ، وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلدأ ،
وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون اني أنا الرب ، فتنبأت كما
أمرت وبينما أنا أنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل

عظم إلى عظمه ، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط
الجلد عليها من فوق وليس فيها روح ، فقال لى تنبأ للروح تنبأ
يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من
الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتل ليحيوا ، فتنبأت كما أمرنى
فدخل فيهم الروح لحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً
جداً ، ثم قال لى يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل ،
ها هم يقولون يست عظامنا وهلك رجاؤنا ، قد انقطعنا ، لذلك
تنبأ وقال لهم هكذا قال السيد الرب ، ها أنذا أفتح قبوركم واصعدكم
من قبوركم يا شعبي وآتى بكم إلى أرض إسرائيل ، فتعملون أنى
أنا الرب عند فتح قبوركم واصعادى إياكم من قبوركم يا شعبي .
وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم فتعملون إنى أنا
الرب تكلمت وأفعل يقول الرب . حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤ .

ولما جاء ربنا وإلهنا يسوع المسيح قال بفسه الإلهى :

• لا تتمجبوا من هذا فإنه نأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين
فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة
والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ، يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩ .

كافة الأشياء ممكنة لله وليس شىء يصعب عليه إن كانه
السماوات أو الأرض أو لجة البحار أو الأعماق أو خليقة ما

أخرى فكلها فى يده ، كلها كلا شىء . وليقنمك بذلك النبى القائل :
• من كال بكفه المياه وقاس السماوات بالشبر وكال بالكيل تراب
الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان ، أش ٤٠ : ١٢ .
ويقول أيضاً : • هوذا الأمم كمنقطة من دلو وكغبار الميزان
تحسب ، هوذا الجزائر يرفعها كدفعة .. كل الأمم كلا شىء . فدامه
من العدم والباطل تحسب عنده ، أش ٤٠ : ١٥ - ١٧ . أما حبقوق
النبى فيقول : • يارب قد سمعت خبرك لجزعت ، يارب عملك فى
وسط السنين أحيه ، فى وسط السنين عرف ... ، حبقوق ٣ : ٢ .
والرسول بولس يقول : • فى لحظة فى طرفة عين عند البوق
الآخير فإنه سيوتق فيقام الأموات عدى فساد ونحن تتغير لأن
هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم
موت ، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم
موت لحيثئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة ، أين
شوكتك يا موت ، أين غلبتك يا هاوية ، ١ كو ١٥ : ٥٣ - ٥٥ .

فن أجل هذا لا يبكين المسكين ولا يستعظم الغنى ، ولا يحزن
الضعيف ولا يتشاخ القوى ، ولا يفتنم العبد ، ولا يفنخر المولى ،
فإن الجميع من الأرض وفى التراب يسكنون ، إلى أن يحيى الرب
الذى يحيى أجسامنا المائتة . فليفتخر الصديقون ويسرروا بالرب .

حيث يد فرح كافة الذين يوجدون أهلاً لذلك الصوت المبارك .
تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم ...
فاصبروا الآن يا صانعي العدل محتملين الانعاب من أجل حق الله .
فإن تعب هذه الحياة الزمنية يمنحكم دالة جزيلة في المستقبل ،
وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحاً وتمزية ، والبكاء الآن
يسبب جلالاً وغزراً لآله قد كتب مغبوط كل الصابرين ...
حيث يد يقول : هـ هوذا عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون ، هوذا
عبيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب
ومن انكسار الروح تولولون وتخلفون اسمكم لعنة تختار فيميتك
السيد الرب ويسمى عبيده اسماً آخر ، فالذي يتبرك في الأرض
يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق لأن
الضيق الأول قد نسيت ولأنها استترت عن عيني ، أش ٦٥ :
١٣-١٦ ، ويقول أيضاً : ولاني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً
جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخظر على بال ، أش ٦٥ : ١٧ .
ويقول سفر الرؤيا :

وستكون سماء جديدة وأرضاً جديدة ... وسيمسح الله
كل دمة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن
ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ،
ورؤيا ٢١ : ٤-٥ .

... أما أنا الحاطي . وبذهني التفكير في أية خيرات أعدت
للمصدقين وأي غضب أعد للخطاة وأراني أتهاون بالأسرى كليهما
ولا أعرف لي مخلصاً حسناً ...

أصرخ إليك أيها الرب الصالح والقاضي اللهم اغفر لي أنا
الحاطي . إن ذلك العشار كان وانقأ على قدميه مطرقة إلى أسفل
وبقرع صدره متضرعاً ...

أما أنا بما أني مفرط في الخطايا انطرح على الأرض على
وجهي واضرب بجمي الأرض هاتفاً إليك أيها المتحنن والطاهر
والمرهوب اللهم اغفر لي أنا الحاطي . غير المستحق فلا يكون لي
هذا دينونة أني اجترى . أن اسمي بلساني النجس وشفقي الدنسين
اسمك الأقدس القاطق السبح إلى الدهور فلتصر لي الاستغاثة باسمك
إسقاطاً وقداسة للروح كرائحة البخور التي إذا ارتفعت تملأ
البيت ريحاً طيباً فأحري بذكرك يا رب وهو أحلى من شهدان
يملا نفوس الذين يتوقون إليك بأمانة وقداسة وإسقاطاً .

أيها المخلص أعطني شوقاً إلى خلاصك مثل أرض ظامئة
منتظرة المطر لاصنع قبل الموت ثمرًا لثلاث أخري في يوم المجازاة .
ارحمنا كلنا بما أنك صالح . نشكر لصلاحك يا رب لاننا كنا غير
مستحقين فأهلنتنا أن نخدم اسمك الأقدس وأن نهبط أيدينا إليك

يا أبا الكل نجنا من كل فعل شيطاني واعط اسمك الأقدس .
جداً يا رب .

امنحنا أن نوجد كأرض جيدة صالحة لكيما إذا قبلنا بذارك
ثمر مائة وستين وثلاثين . أعطنا يا رب أن نتجر بالفضة التي
أعطيتنا إياها لكيما إذا تقرب لك ثمر العدل ، امنحنا يا رب أن
نسر ونسليقظ لأستقبالك منقطعين أحقاء أذهائنا ومعنا مصابيح
الفضائل غير منطفئة ، منتظرين إياك يا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح
أهلنا يا رب لاخطف الصديقين فيمن يستقبلونك في السحب
ثلاثاً نختبر تلك الدينونة المرة فأقده العزاء . بدد يا رب قبل
الوفاة رسق خطابانا السابق حمله ثلاثاً يكون لنا عائق في ساعة
الاخطف ويسحبنا من مصاف القديسين إلى البار التي لا تطفأ ،
فالعدل هو جناح يحمل الصديقين من الأرض إلى السموات .
تمتلك يا رب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا في السحب مع الصديقين
المختارين إلى لقاءك . يا ملك الكل لتستقبلنا الملائكة القديسون
بفرح وبوجه باش ولنسجد أمام عرش مجدك ونعائين المجد الذي
لا يوصف فإذا استرحبنا نعمة نتهف ، المجد لمن ألبس الأذلاء
البالين مجداً وعدم بلى ، المجد لمن أعطى المائتين صدم الموت ،
المجد لمن نجانا من فم الأسد العدر المفسد وجعلنا وارثين للملكة

السياتي ، أصل كل الخيرات ، النور الذي لا يقبمه ليل ، السرور
الذي لا يوصف والذي لا يشوبه حزن أو ألم حيث يهرب الوجد
والغم والتهند . منذ الآن نكون مع الرب دائماً هذه هي أصوات
الصديقتين والقديسين والفساك والمختارين في وروده وجماعة الذين
استرضوا الإله الرحوم بالتوبة .

يا أحبباني لتفق ولتصغ إلى ذواتنا لنستوطن مع الصديقين
ولا ينزع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للشالوث
الأندس والظاهر والمساوي بالجهر إلى أهد الدهور .

† † †

عظة على مجيء ربنا

يسوع المسيح الثاني (١)

يا بني النور تقدموا وهدلوا اسمعوا صوت مخلصنا الصوت
المغبوط المبارك الهاتف إليكم تعالوا يا مباركي أبي رؤيا الملك المعد
لكم - ملك السموات - فاحذروا يا اخوتي أن يعدم أحدكم هذا
الميراث السعيد فإنه ها هو على الأبواب ، أن النور نزل إلينا
فأنا رنا وأدنانا إليه وأصعدنا معه فيلذ نزل إلينا صار من أجلسنا
مثلنا ليجعلنا مثله . من لا يموت نزل إلى المائتين وحين جعلهم
غير مائتين صعد إلى الآب وسيجيء بمجد أبيه المبارك يدين
الاحياء والموتى ، صار لنا طريق حياة مملوءة نوراً ومجداً للنسلك
نحن في النور إلى الآب . تعالوا يا أحبائي فلنسلك في الطريق التي
أظهرها لنا الرب لنصل بسرور إلى مملكته ولتأخذ زادا وزبناً
في أو هيئتنا ، فليست الطريق قصيرة فلنشد أحقياءنا بالحق ومثل
أناس وعبيد حافظين منتظرين سيدهم نوقد مصابيحنا لنستقبل
ربنا من السموات مقبلاً فلا نغفل فيما بعد لثلاث تنطق مصابيحنا
قد وافى النور فويل الليل وأتى النهار ، يا بني النور بادروا إلى

(١) من القاعة الحادية والعشرين .

النور اخرجوا بفرح إلى استقبال ربكم أروه فضائلكم ونسلككم
وحيتكم ، سهركم وأتعبكم دموعكم وترك القنينة . لا ترفدوا
ولا ينظر أحد منكم إلى الرذائل التي وراءه . بل لنتظر إلى ذلك
الجمال السماوي إلى فوق متأملاً ذلك الجمال والسرور . يا وارثي
الملكوت . ان هذه النعم قد وهبها الله لنا فيماذا نكاشه . فلنطرح
هنا كل اهتمام هذا الدمر ولنخدمه وحده بحرص عظيم ونشاط
جزيل ، فما يومه بالحقيقة قرب ووروده بالتأكيد قد حان . هلا
إذن يا إخوتي لتليقظ منتظرين ربنا الحنن السماوي الذي لا يموت ،
عندما يشرق وتكون تلك الصرخة التي تنطلق بقتة ، ها الحنن
قادم فاخرجوا إلى استقباله أتم الذين احببتموه وأعدتم ذواتكم
لمعاينته في مجده لأن كافة الذين اشتاقوا إليه يفرحهم في ملكوته
الأبدى المنير البهي بالافراح التي لا توصف .

احذروا يا إخوتي إذا صار ذلك أن يكون أحدكم مصباحه
مظلماً لا زيت فيه أو لابساً ثياباً بالية فذرة فيدان ويحسك عليه
بالظلمة البرانية وبذلك العقاب الدهري حيث البكاء وصرير
الأسنان . لنحذر يا أحبائي فإننا لا نعلم متى يجيء ربنا لأنه
كالسارق في الليل ومثل الفخ يوافي ذلك اليوم وكبرق حاد هكذا
يكون حضور الرب . لأنه عند سماع البوق تنزع الارض من

أساساتها وترتعد السموات مع قواتها والوقت يقومون كلهم .
يا أحبائي من لا يلومه قلبه في تلك الساعة ... اني اظن أن كل
نسمة ترتعد في تلك الساعة لكن نعمة الله تآوى وتفرح قلوب
الصدقيين فيختطفون في السحب إلى استقباله . اما المفسطجعون
والعاجزون الذين يشبهوننى فيلبثون على الأرض مرتدين .
فلتحفف ذواتنا يا اخوتي من الأرض قليلا لترتقى بسهولة إلى
السماء . ماذا ينفعنا العالم الذي قيدنا بهومومه . أم ماذا نزعج من
الانصراف إلى تزيين الثياب سوى نار لا تطفأ أو تعدد أنواع
الأغذية والتتعم سوى تعذيب مؤبد . إعرفوا أننا بالتأكد إن
لم نجاهد في هذا الزمان القصير فإننا نعذب هناك إلى أبد الدهر .

يا اخوتي لم تتواني ولم تضطجع لماذا لا نفدى أنفسنا ويوم
الرب يقترب منا ، لم لا نطرح عنا كل اهتمام غير نافع ونخفف
ذواتنا من ثقل الامور الأرضية . أما عرفتم أن الباب ضيق
ولا يستطيع الجريل القوية أن يدخل منه بل من لم تفريهم فية
الذين قد اختاروا الباب الضيق لذواتهم باختيارهم الذسك والتعب
والذين أعدوا ذواتهم لمعاينة الحتن السمانى الباقى في مجده ، ويورثهم
ملك السموات ... يدعوك واحد باسمه ويتكلمه في طفعة
القديسين المتصرفين في النور الذى لا يوصف في الحياة الابدية .

لنحرص إذن يا اخوتي في هذا الزمان اليسير . لنثبث هنا
الثلا تندب إلى الدهور التى لا نهاية لها حيث لا تنفع الدموع
والزفرات وحيث لا توبة . إن حرصكم يسر به الملائكة ورؤساء
الملائكة ونوايئكم يفرح به العدو ... لك أجنو ساجداً أيها
الرب يسوع المسيح إن الله الهى أعطى ولكافة الذين يحبونك
أن نعمائكم بمجد في ملكك ونزث مع كافة الذين أحبوك وتاقوا
إليك . يا أحبائي إن نوايئنا واضطجعنا في هذا الزمان اليسير
فلا تكون لنا دالة في ذلك اليوم الرهيب . لانتسا لا نجد حجة
عن خطايانا لانه منذ إنحدر إلينا ربنا ومخلصنا لنزع كل حجة .
لانه وهب لنا حين جاء الحياة الابدية . كنا أعداء فصالحنا ،
وأرضيين فصرنا سمانيين ، ومائتين لخطنا غير مائتين . وبني الظلمة
فصيرنا بنى النور ، كنا مأسورين ففدانا ، وعبيداً للخطية فرحنا
وحررنا ، كنا مساكين فصرنا أغنياء ، كنا ضائعين فوجدنا ...
كنا خطاة فخلصنا ، كنا تراباً ورماداً فصرنا بنين ، كنا عسرة
فسترنا وصرنا وارثين للملكوت . هذه النعم قد وهبها لنا ربنا
فبماذا نكافئه يا أحبائي هلوا فلنطرح عنا كل اهتمام باطل ونخدمه
بحرص عظيم ونشاط كبير ...

أيها المسيح حياتى خلصنى أنا الخاطىء فى ملكك . إن لسانى

يتعبد في تلاوة التمجيد ، لا تجازني نظير أعمالى بل خلصنى
بعمتك وتراءف على بتحتك فإنك أنت هو المبارك والممجد إلى
الدور آمين .

† † †

اسرع بالقراءة :

- ١ - كتاب شرح حساب الكنيسة القبطية
تأليف : مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب
- ٢ - القديس ساويرس البطريرك الانطاكي .

